فهم المذهب العسكري الجزائري لثنائية: بيئة الضبط العملياتي والدين في عمليات مكافحة الإرهاب

Understanding of military doctrine Algerian bilateral: Setting the operational environment and religion in counter-terrorism operations

الكلمة المفتاحية : المذهب العسكري الجزائري

Keywords: Algerian military doctrine

أ.م.د. بلهول نسيم

جامعة علي لونيسي / البليدة (الجزائر)

Assistant Professor Dr.. Belhoul Nacim
University Ali Lounici / Blida (Algeria)
E-mail: nassaiki@yahoo.fr

ملخص البحث

إن التطورات والأزمات التي مرت بها الكينونة الأمنية الجزائرية في العقد الأخير من القرن العشرين قد أظهرت بشكل جلي التحديات الأمنية الخطيرة التي مر بها النظام الأمني الجزائري على غرار بقية الأنظمة الأمنية لدول العالم الثالث خلال فترة التحول من الحرب الباردة إلى ما بعد هذه الحرب، وذلك من حيث بنائها وطرق التقرب منها. إن النقطة القابلة للمناقشة والجدل هي أن التحدي الوحيد الذي يواجهه النظام الأمني الجزائري على غرار النظام العالمي هو التهديدات التي يثيرها الإرهاب الحديث. سوف لن نتفحص بدقة مدى تأثير قدرات القوة البرية والإستعلاماتية على مدى فعالية قواعد التحكم ومركز التوجيه العسكري الجزائري وإستراتيجيته. إن هذا لن يعكس أي حكم على صلب هذه النقطة ومفهومها المركزي الواقعي والذي لا نستطيع إنكاره. وعلى العكس من ذلك، فإن مناقشة هذه النقطة ستكون غير مجدية في حالة رغبتنا الوصول إلى المبادئ الأساسية لمفهوم هذه القواعد المركزية للتوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب.

المقدمـــــة

أدرك الجيش الجزائري في الآونة الأخيرة الحاجة إلى فهم أوسع للبيئات المعقدة التي يعمل فيها. ونتيجة لذلك، شرع الجيش في تأصيل نهج أكثر شمولا يسعى إلى فهم الأوضاع على نحو أكبر من الإتساع والعمق، بهدف التوصل إلى حلول أعمق وأكثر دواماً للمشاكل المعقدة. وتسعى هذه العملية التي تعرف ب"التعديل التكتيكي وعمليات الضبط الجديدة" إلى الفهم عن طريق تأطير وضع ما في سياق ما، وعندما يتغير الوضع، يعمل المخططون على إعادة تأطير منظور ضد سياق متصل أكثر. ولا يدرج ممارسو التصميم التكتيكي العسكري الجزائري الجديد العوامل العسكرية التقليدية، والسياسية والبيئية فحسب في تحليلاتهم وتركيباتهم، وإنما أيضاً في مجالات أوسع للمسعى الإنساني مثل التاريخ والثقافة والمجتمع والدين.(١)

إن أسلوب التصميم التكتيكي العسكري الجزائري الجديد غير مفيد للمخططين الإستراتيجيين إلا إذا أدى إلى تسهيل فهم أكثر دقة للواقع، وعزز من ثم إدخال تعديلات مفيدة في الخطط العملياتية.

إن فهم دور الدين فهماً كاملاً في وضع أو حدث ما يتجاوز مجرد الفهم العقلاني البسيط. فهو يشمل قبول وإدراك وسائط أخرى للتصور، والتبادل والخطاب الإنساني. وتشمل هذه الوسائط: التعاطف الوجداني ومراعاة الآراء الأخرى – حتى تلك الآراء التي تخرج عن إطار المنطق والأحكام والتصورات والبديهيات العسكرية التقليدية –.

يميل المخططون إلى مقاربة أعمالهم بأسلوب منطقي صارم ومنهجي ومرتبط بعملية ما، أفضل ما تعبر عنها كمثال: عمليات رسمية يقوم بها العسكريون، مثل عملية تخطيط العمليات المشتركة وعملية صنع القرار العسكري بالجيش الجزائري.

ويمكن لمقاربة تجاه عملية ما أن تكون جيدة جدا لأعمال مباشرة، مثل: عمليات القوة على أساس قوة. غير أن مثل هذه المقاربات للعملية لا تناسب العمل الذي يكون المجتمع محوره، والتي تأتي تأثيرات القوة فيه في المرتبة الثانية، وكثيراً ما تقوض النتائج المرغوب فيها.

وإذا حاول المخططون فهم نظام بشري يلعب فيه الدين دوراً بارزاً، عليهم أن يتذكروا التعقيدات المتأصلة في الخبرة الدينية الفردية وأبعادها الإجتماعية الكبيرة. وعلى وجه التحديد يتعين على المخططين والمفكرين الضالعين في عملية التصميم التكتيكي العسكري الجزائري الجديد أن يضعوا في اعتبارهم المبادئ الإرشادية عند تقييم الأثر المحتمل للدين على البيئة الإستراتيجية أو العملياتية.

حيث تقوم فرضية الدراسة على أن (بناءات التهديدات المطلقة من مدخلي الدين والقيم من شأنها أن تغير من السلوك العملياتي والخط المذهبي العسكري الجزائري الموجه لهذا السلوك، حيث أن المصفوفة الإستراتيجية العسكرية الجزائرية من شأنها أن تحدث ثورة في الأشياء العسكرية بناءً على تحولات التهديد التي فرضت نفسها على البيئة العملياتية السيادية والإقليمية).

ومن هنا تم تقسيم الدراسة إلى مدخل تمهيدي يقف على الدين كواقع ووجود يفرض نفسة في بيئة العمليات العسكرية والأمنية السيادية، وكذلك مجموعة من المحاور (النقاط) لأجل إثبات الفرضية والتعاطي مع موضوع الدراسة إيحائيا وإجرائيا، مع الإلتزام في الدراسة بعملية الربط بين الفلسفة العملياتية وعلم الضبط الإستراتيجي للسلوك الأمني والعسكري السيادي (القومي). لتأتي خطة الدراسة على الشكل الآتي:

مدخل تمهيدي: الدين كوجود في بيئة العمليات

١– عن صلابة الدين.

٢– أهمية الدين.

٣– الدين والحرب.

٤– الأصولية والحرب.

٥– عن التعصب الديني.

٦– مركز التوجيه العسكري الجزائري ومكافحة الإرهاب.

مدخل تمهيدي: الدين كوجود في بيئة العمليات:

رغم استغلال العديد من الأديان في الترويج لأهداف سياسية أو اجتماعية أو روحية، فإننا سنركز على الأديان التوحيدية الثلاثة (إثنتين منها منسوخة: اليهودية والمسيحية) و(واحدة قائمة أزلية: الإسلام)، فهذه الأديان تميل إلى أن تكون استبعادية على نحو صارم، وهي تصنف الناس إلى مؤمنين وغير مؤمنين. وتنزع هذه النظرة الثنائية للعالم إلى خلق ذهنية "نحن مقابل هم"، التي يمكن أن تعزز الظروف لتبرير استخدام القوة ضد أولئك الذين لم يقبلوا "الحقيقة".

نشأت اليهودية كديانة لمجموعة عرقية – القبائل الإثنتي عشرة لإسرائيل –، وطوال تاريخها، احتفظت اليهودية بشخصيتها الإستبعادية، ولم تكن متحمسة بصورة خاصة لتحويل الآخرين، بل ركزت بدلا عن ذلك، على الإحتفاظ بنقاء معتقداتها وسلامة تقاليدها – حسب مزاعم أتباعها – ضد بيئة غالبا ما كانت عدائية.(٢) وعلى النقيض من ذلك، كانت المسيحية ديانة تبشيرية منذ البداية (٣)، وتطورت المسيحية كديانة منبثقة عن اليهودية (أثر تعاليم العهد القديم الأرواحانية وحملتها على الحراك القيمي للكينونة التاريخانية المسيحية) بتحويل الآخرين إلى رؤيتها: أولاً، اجتذبت متحولين من المجتمع اليهودي، ولكنها سرعان ما استقبلت غرباء. وبالمثل، فإن الإسلام كان ولا يزال ديانة تبشيرية منذ البداية(٤)، ونما عن طريق تحويل الوثنيين والمسيحيين إلى معتقده. ويتسم الجانب التبشيري للمسيحية (المحرفة والمنسوخة) والإسلام بالأهمية، لأنه يبين رغبة في تحويل "الآخر" غير المستنير إلى "الدين الواحد الحق". إن المؤمن لا يقدم على قبول "الآخر" كما هو، ولكنه يسعى لتغييره من أجل صالح هذا الآخر ودينه، وإذا لم يتمكن "الآخر" من التحول، أظهر أتباع الديانات التبشيرية من الناحية التاريخية ميلا إلى نبذ أو رفض، أو حتى محاولة تدمير هذا "الآخر".

أولاً : عن صلابة الدين:

إن تعاليم الدين ليست قابلة للبرهان العقلاني، وليست بشكل ملحوظ قابلة للنقض العقلاني. فالمؤمنون يتمسكون بالبديهيات الدينية على أنها "حقيقية" من خلال عملية "الإيمان" – أي التصرف السيكولوجي للقبول بأن بعض "الحقائق" المفترضة تتوافق مع الحقيقة على أساس "قفزة إيمانية". وليست هذه العملية عقلانية أو غير منطقية، ويمكن وصفها بأنها فوق العقلانية، لأن وجوه معرفة المطلق – وتصور وسائله عبر الإيمان – تقع خارج نطاق العقل(٥). مع ذلك، فإن للعقل دورا في الدين، ومتى تم قبول "الحقائق" يستخدم المؤمنون المنطق الإستقرائي والإستنباطي للتنبؤ، والتوسع، والإيضاح، والتعقيب، والتشكيك والجزم بهذه المعتقدات. وللأسف، فإن العقل قد يعمل أيضا كوسيلة لتبرير العنف والحرب باسم الإيمان الديني.

ويقترح بعض علماء علم الإنسان وجود مكون ديني في الطبيعة البشرية. ويشيرون إلى أن آلية داخلية متأصلة في الطبيعة البشرية، قد تجبرنا على السعي لمعرفة تفسيرات للمتناقضات وللقيود البشرية في مواجهة اليأس من الموت. وتدفعنا هذه الآلية إلى السعي للحصول على إجابات للأسئلة المطلقة(٦). ويخلق التفسير الخارق لهذه الرغبات التجاوزية قيما ونظرة إلى العالم تتفق مع معتقدات دينية معينة. والتعبير الشهير عن هذه الفكرة جاء على لسان أوغستين هيبو: " لقد صنعتنا لذاتك، وقلبنا لن يستريح إلا إذا استراح فيك" (٧). إن الدين ظاهرة عالمية، وهذا يعني أنه يرجح أن يصبح عاملا بارزاً في أوضاع تنضوي على الأمن القومي.

يعد الدين في المجتمع الجزائري المعاصر، مسألة شخصية وجماعية في أغلب الأحوال. فالجزائريون يجدون من السهولة تصور الدين كعامل محفز للحرب. ومع ذلك، عندما ينظر إليه من المنظور التاريخي الطويل، فإن الأثر الإجتماعي للعقيدة كان هائلاً. وإذا درسنا أنماط تاريخ العالم، نجد من الواضح أن المجتمعات البشرية تشكلت تشكلا عميقاً بالمعتقدات الدينية. فالحالة الراهنة القائمة في "العالم العربي" الذي تعتبر الجزائر جزءاً هاماً منه، منذ أحداث ١١ سبتمبر

٢٠٠١ م، حيث سادت ثقافة العداء والكراهية لأصول الدين (الأصولية) ونماء ثقافة وهجمة العلمانية تجاه المعتقد الديني، هي مسألة شاذة في التاريخ العربي والإنساني ككل.

حتى الماركسية بتقييمها التقليدي للدين "كأفيون للشعوب" فشلت في إطفاء الحاجة الإنسانية للإيمان. وبدلاً من ذلك، دشنت فترة مارست فيه ملايين البشر نوعاً من الأيديولوجية المادية والإلحادية. وهو "دين" تميز بمعتقداته الخاصة بأرثوذوكسيته، وبدعه وقديسيته. بل إن الرأسمالية بتأكيدها على الإستهلاك المادي وافتقارها لأي مثل علياً، باستثناء السعي وراء الربح والثراء، تعرض رضاء أقل تديناً من الإشتراكية. ورغم أن بعض المثقفين الغربيين قالو قولتهم الشهيرة بأن "الله مات" – تعالى فوق ذلك رب العزة علواً كبيراً – وعقدوا النية على التعايش، مع ما قد ينجم عن ذلك من قلق، فإن هذا لم يكن رد فعل عام عن الوازع الديني الكلي الوجود(٨).

ثانياً: أهمية الدين:

إن الدين مهم بالدرجة الأولى، لأنه يعرض إجابات على التساؤلات الأساسية للوجود الإنساني. ومع ذلك، وفيما يتجاوز هذا الهدف الأخروي والغيبي، يوفر الدين الأعراف المعنوية والأخلاقية لكل من الفرد والجماعة. إضافة إلى ذلك، تدمج الكثير من الديانات أعرافاً إجتماعية في ممارساتها، يتم استثمارها بسلطة معنوية كبيرة. وهذا الجانب من الدين هام من المنظور الجماعي، وقد يجادل الكثيرون بأن وضع المرأة في الإسلام – وبدرجة أقل في اليهودية والمسيحية المحرفتين– ينبع من أعراف ثقافية اكتسبت قوة شبه دينية. غير أن المهم أيضاً، أن آخرين يعتبرون هذه الأعراف جزءاً لا يتجزأ عن صلب إيمانهم.

وعلاوة على المبادئ اللاهوتية، فإن معظم الأديان وبالتأكيد الأديان التوحيدية، قامت ببلورة أو تبني نظرة معينة تجاه العالم، وتنطوي هذه النظرة على علم الكونيات، وعلم الإنسان، ونموذج أو أكثر من نماذج الحياة الإجتماعية. وتشكل هذه الأخيرة، السياق الذي يمكن في إطاره أن تقبل التقاليد الدينية، أو ترفض أو تعدل الأفكار الجديدة. وقد أثبتت الإكتشافات في

العلوم الفيزيائية والبيولوجية بشكل خاص أنها تمثل تحدياً للدين، لأنها وفرت تفسيرات عقلانية للظاهرة الطبيعية والبشرية، لا تعتمد على نظرة دينية تجاه العالم.

ويصل النزاع بين النظرتين الدينية والعلمية للعالم مداه، عندما تنطوي النظرة الدينية على تفسير أصولي للكتاب المقدس مثلاً. مثال ذلك، الجدل المتواصل بين نظرية التطور العلمية ونظريات بعض الجماعات المسيحية حول التصميم الذكي[٩].

ثالثاً : الدين والحرب:

عادة ما يعتبر الدين قوة للسلام في عالم اليوم، غير أنه عمل عبر التاريخ كمبرر للحرب أو حتى كسلاح للحرب. كيف إذن تتم "تعبئته" للحرب؟، لا بد من وجود شروط معينة إذا أريد استخدام الدين كسلاح فعال.

أولاً: لابد من وجود مجتمع من المؤمنين الراغبين في القيام بعمل جماعي مبني على عقيدتهم المشتركة مثلاً، كان الناس إبان العصور الوسطى يعرفون أنفسهم ليس بأصلهم العرقي وإنما أساساً بهويتهم الدينية – كمسيحيين أو مسلمين أو يهود – [١٠]. واليوم يوجد وضع مماثل في دول البلقان، حيث تنتمي شعوبه إلى نفس الأصول العرقية، كما وتتحدث نفس اللغة وتجتمع على ثقافة واحدة تقريباً، وتحتبس أنفاسها على أساس ديني واحد. نفس الحقائق تتكرر في مناطق أخرى من العالم، مثل: إندونيسيا وأجزاء من أفريقيا.

ثمة شرط ضروري آخر، هو أنه يتعين على الجماعة المعنية أن تصور نفسها كجماعة مضطهدة، وأن الدين يعرض خياراً لانعتاقها، مثلاً: إن الموضوع المشترك الذي دأبت جماعة الإخوان المسلمين على ترديده هو أن المسلمين تعرضوا للإستعمار والإضطهاد على يد الغرب لأنهم لم يكونوا مخلصين للتعاليم الإسلامية، لذلك، فإن الخروج من مأزقهم يتطلب العودة إلى التعاليم الصارمة للإسلام، والله سيتكفل بإزاحة المظالم المتصورة عنهم.

على الرغم من كون أن الشروط التي سقناها سابقا ضرورية لاستخدام الدين كسلاح، إلا أن وجودها لا يكفي وحده: فهي لا تضمن حدوث ذلك، وإنما تخلق الإحتمالية فحسب. ويحدث الإستخدام الفعلي للدين كسلاح كنتيجة لقرار بشري أو سلسلة من

القرارات والأحكام، لا تحددها الظروف أو المعتقدات سلفا. وقد يكون هذا الإستخدام مقصودا صراحة من جانب كبار رجال الدين أو ربما يكون تفسيرا أدلى به آخرون لبعض التعاليم أو الآيات الدينية أو أحاديث كبار أعلام الدين. وعلى أية حال، يصبح الدين سلاحا لأنه يؤسس لوسيط وحافز قوي على أعمال العنف والتمرد.

إن الإتجاهين الرئيسيين اللذين يسهلان عملية استخدام الدين كسلاح هما: الأصولية والتبشيرية. فالأصولية، تروج لمرجعية صارمة تصعد الخلافات بين المؤمنين و"الآخر"، كما تروج لعقلية حرفية وجامدة تؤمن بصدق بأن "الحقيقة" يمكن احتكارها وفهمها على أنها حقيقة موضوعية.(١١) وتسعى التبشيرية بنشاط إلى تغيير "الآخر" عبر التحويل. وفي بعض الحالات، قد تؤدي الحماسة المفرطة إلى تحويل الآخر، إلى عرض بديلين مهزومين: إما التحول أو الموت. ولقرون عديدة تنشط هاتان القوتان في العلاقة المركبة بين العالمين الإسلامي والمسيحي.

بعد "عصر التنوير" في الغرب، حل مفهوم "الديمقراطية العلمانية" بدرجة كبيرة محل "الدعوة النصرانية"، لذلك، فإن النزاع اليوم بين الأديان تحول إلى صراع بين الديمقراطية والسلطة الدينية الإسلامية. وفي الغرب، ليس التبشير الشرس بالديمقراطية العلمانية جزءاً فقط من الأجندات الوطنية، ولكنه أضحى أيضاً جزءاً من أجندات الكثير من المنظمات غير الحكومية التي تروج لـــ "حقوق الإنسان". وبدلاً أن ينظر عليها كصاحبة موقف حيادي دينياً، فإن الترويج النشط للديمقراطية و"حقوق الإنسان" المجردة – العقلية العلمانية منفصلة عن الأخلاق ذات الأساس الديني – هو شيء تعتبره مجتمعاتنا الإسلامية عقيدة غريبة تتنافى صراحة مع القيم الأخلاقية والدينية للإسلام. لتصبح الديمقراطية والترويج لحقوق الإنسانية العلمانية بالنسبة لكثير من المسلمين هي "الآخر" المعادي للدين.

تنشغل الأديان التي تعتبر كتابات منزلة تنزيلا من عند الله بتفسير هذه النصوص. وبحكم التعريف، فإن هذه النصوص الدينية صالحة لكل زمان وسلطتها أبدية – طبعا الأمر مرتبط بالديانات غير المحرفة والكتب السماوية المنزهة –. والتفسير قابل للبرهان العقلي،

حيث حقق علماء الأديان شهرتهم عبر التاريخ، على أساس تفسيرات معينة لتراثهم الديني، وتم ربط التطورات الثقافية وتاريخ الأفكار ربطا وثيقا بتفسير النصوص الدينية. وتفترض إحدى مدارس التفسير أن النصوص الدينية منزلة من عند الله. وفي الحالات القصوى يعتبر النص المقدس كلمة الله نفسه.(١٢) أما مدرسة التفسير الثانية، فتعتقد أنه رغم أن النصوص الدينية ربما كانت إلهاماً من السماء، فإنها ليست نهائية أو معصومة، وإنما هي قابلة للتفسير، والتطوير، ووضعها في سياقها الصحيح(١٣).

ويمثل هذان الموقفان إطار عمل تأويلي أو تفسيري. فكلاهما ينطوي على منطق داخلي، حتى يكون القبول بهما مسألة إيمانية. على هذا النحو، فإنهما غير خاضعين للتأكيد أو النفي العقلاني. ومع ذلك، فمتى تم قبول أي منهما كإطار عمل ذهني، يمكن عندئذ إعمال العقل والمنطق في تفسيره وشرحه. إن المدرسة الفكرية المتطرفة قادرة على جعل التفسير الديني قابلاً للتحول إلى "سلاح".

رابعاً : الأصولية والحرب:

إن أول هذين الموقفين، الذي يقضي بأن النصوص الدينية غير قابلة للتغيير، يعرف عادة بالموقف الأصولي، لأنه يبني آراءه على ما يعتبره النسخة الأصلية الصريحة للنصوص المقدسة. والتفسيرات الأصولية موجودة في جميع الأديان التوحيدية (المنسوخ منها والأزلي القائم). فنصوص الديانة اليهودية، لاسيما التوراة والمزامير، تستدعي غضب الله على الأعداء(١٤). بينما تستخدم مقاطع أخرى سوراً تحث على القتال(١٥). ويقبل دعاة التفسير الأصولي هذه النصوص كما هي، ويضعون أنفسهم كذلك في صدام مع جميع المواقف الأخرى المنافسة، سواء من داخل ديانتهم أو من خارجها.

وينكر دعاة الأصولية إمكانية الخلاص لأولئك الذين لا يقبلون بتفسيراتهم لدينهم: وفي أسوأ الأحوال، بما يروجون للعنف ضد "الآخر". لقد منحت الأصولية تبريرا فكرياً للحروب الظالمة مبنيا على الدين، مثلاً: تم تعريف المدرستين السلفية والوهابية لتفسير القرآن الكريم على أنهما المصدران العقائديان للدعوة الحديثة للجهاد "الخارجي" واستعادة الدولة الإسلامية

الدينية. في حين، تدعو الأصولية اليهودية إلى استعادة معبد القدس وأرض "إسرائيل الكبرى" على أساس ديني. ولا يمكن التوفيق بين هذين الموقفين منطقياً. وإذا لم تتم مراجعتهما، فإنهما سيجعلان أي حل وسط تدعو له الحاجة لتحقيق السلام في فلسطين أمراً مستحيلاً. وللأسف، فإن دعاة هذين الموقفين نشطون حاليا على الساحة ويتمتعون بالنفوذ في الشرق الأوسط.

وللمسيحية المحرفة جذورها الأصولية أيضاً، رغم أن النصوص المسيحية – المحرفة طبعاً – ذاتها – الأناجيل وكتب العهد الجديد – خالية بصورة لافتة من ظواهر العنف العالمية. في الواقع، أن المسيح – عليه السلام – نفسه دعا إلى شكل متطرف من السلمية وأصر على أن "مملكتي ليست هذا العالم" – وهذا ما تقره نسخ الأناجيل الموضوعة ومزاعم كهنتها –[١٦]. ورغم هذه النزعة، فإن المسيحية كانت عند نشأتها، ولنحو أربعمائة عام، ديانة سلمية تمقت كل ألوان العنف باعتبارها خطيئة، وفضل أتباعها الإستشهاد على أكثر الحقوق الإنسانية للفرد أو الجماعة في الدفاع عن النفس. وقد أرغم المسيحيون فقط مع مجيء المسيحية باعتبارها الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية على التصارع مع مفهوم العنف الجماعي في شكل حرب، وفي بعض الحالات، ربما يمكن تبريره أخلاقيا. وكان أوغستين هيبو المناصر الكلاسيكي لفكرة "الحرب العادلة"[١٧]. وقام توماس الأكويني فيما بعد بتطوير هذه الفكرة، حيث تمثل مؤلفاته – حتى اليوم – التبرير المسيحي الرائد للحرب[١٨]. كما تعتبر فكرته عن الحرب العادلة كأساس للنظرية الإنسانية الغربية الحديثة للحرب. وعلى الرغم من وجود قيود نظرية حادة جداً على كل من تبرير الحرب والسلوك الأخلاقي في الحرب، إلا أن الممارسة المسيحية لم تتبه هذه النظرية. لقد شن المسيحيون حروباً خبيثة وحروب إبادة جماعية ضد أعدائهم من أتباع الديانات الأخرى والمسيحيين غير الملتزمين، بل وضد مسيحيين من نفس الطائفة. لقد خضبت المسيحية المتعصبة مسار التاريخ البشري في الغرب بالدماء.

خامساً : عن التعصب الديني:

كان التعصب الديني – تاريخياً – أكثر انتشاراً من التسامح الديني، غير أن دين الأغلبية لم يقم دائما باضطهاد أو قتل الأقلية، فقد ترك أفراد وجماعات الأقلية في حالهم تقريباً، طالما ظل عددهم قليلاً وغير بارز بشكل ملفت للنظر. وفي بعض الحالات، تم قبول أعضاء هذه الجماعات المتميزين بمهارات نادرة ومفيدة بل وترقيتهم داخل مجتمع الأغلبية، طالما أنهم وفروا الخدمات اللازمة وتمسكوا بالأعراف الإجتماعية السائدة – بما في ذلك التركيبات الإجتماعية السائدة –[١٩]. ورغم أن معظم الديمقراطيات الغربية تأخذ مفهوم التسامح الديني على أنه دليل إيمان، إلا أن هذا الموقف يعد جديد نسبياً على المسرح العالمي (إذا ما قارناه بنسيج التاريخ الإنساني).

لقد أصرت معظم المجتمعات على ممارسة دين الأغلبية، وظل التسامح مع ديانات أخرى قاصراً على حالات معزولة وقلة من الغرباء[٢٠]. ففي العصور الإغريقية، ومن بينها – ربما على نحو مثير للدهشة – الإمبراطورية الرومانية، كان هناك تسامح مع الكثير من الديانات، رغم أن السلطات المدنية عادة ما فرضت الملة الرسمية للإمبراطور أو الملك على كافة المواطنين، مع منح استثناءات قليلة. والواقع، أن رفض عبادة الملك بات سبباً رئيسياً للموت بين اليهود والمسيحيين في العصر الإغريقي.

إن المفهوم الغربي العصري لحرية الضمير هو نتاج لعصر التنوير، ولم يزدهر إلا بعد أن وضعت اتفاقية سلام وستفاليا حدا للحروب الدينية الرهيبة في أوروبا[٢١]. إن حرية الضمير مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلمنة والدمقرطة التدريجية لأوروبا الغربية وأمريكا. ويكشف تاريخها ندرة وفتوة المفاهيم التي تنطوي عليها. كما ويفسر لماذا هي غير مقبولة بصورة عامة خارج دائرة الغرب بقدر ما يتخيله أو يتصوره الغربيون.

ورغم حداثة حرية الضمير والتسامح الديني، فقد اعتنقهما جزء كبير من المجتمع الدولي تحت قيادة الغرب ووسائل الإعلام العالمية. ولا شك أن هذه المثل تتناقض مع أفكار الإستبداد الديني، وعلينا أن ندرك هذه الحقيقة ونفهم أن الحكومة الدينية بديل صالح ومنطقي

تماماً بالنسبة لأولئك الذين يقبلون بنظرة تجاه العالم تضفي أهمية كبرى على نظام ديني بعينه. والمجتمع الذي تم ترتيبه حول قيم دينية وأعراف ثقافية استبدادية غير قابل لاستيعاب التقدم في حرية الفكر والكلمة، ومع ذلك، فإن العسرة الثقافية للقيم الغربية لا تبرر استخدام الدين كسلاح في الحرب أو الحملات الإرهابية.

ومثلما يمكن ملاحظته من معرض ذكرنا لبعض المواقف الدينية القائمة في إطار التقاليد المقدسة، قد يوفر فهم ثقافي واسع للدين وسياقاته الإجتماعية المختلفة عدسة يمكن من خلالها تقييم وجود الدين وآثاره على بيئة عمليات عسكرية ما. ولتحقيق ذلك فإنني أعرض جوانب مذهبية للعقيدة العسكرية الجزائرية في التعاطي السلوكي مع مصادر تهديد مطلق يتحرك من منظومتي القيم والدين، وهي كالتالي:

– قبول حقيقة الدين: إن الدين ليس عقلانيا أو غير عقلاني، إنه فوق العقلاني – بعيدا عن متناول العقل الصارم –، ومع ذلك، متى تم قبول مبادئ ديانة معينة، فهي عادة ما تكون قابلة للفهم العقلاني، ويمكن مناقشة تعاليمها بصورة عقلانية.

سيستمر الدين في بسط نفوذ عميق على الأعمال الفردية والجماعية، لذلك، يتعين الإعتراف بأهمية الدين حتى وإن لم يختزل بالتفسير العقلاني وحده. وكما عبر رودولف أوتو عن ذلك: "فإن موضوع الرهبة أو المهابة الدينية، لا يمكن تحديد مفهومه بالكامل: إنه لا عقلاني مثله مثل التأليف الموسيقي، الذي يستعصي على التحليل المفاهيمي الكامل".(٢٢) إن القبول بأن الدين له تصنيفه الخاص به الذي ينفصل عن العلة المنطقية، أمر بالغ الأهمية لفهم أي وضع يلعب فيه الدين دوراً. وقد يكون مثل هذا القبول صعبا بالنسبة لأولئك المعتادين على التعامل مع وقائع سياسية ملموسة أو الواقعية السياسية. ومع ذلك، فإن واقع وأهمية العامل الديني في العمل السياسي لم يعترف به محلل سياسي على نحو اعتراف مكيافيللي(٢٣).

ويتعين منح جميع الأديان والإتجاهات الدينية الشرعية، إن لم يكن من وجهة نظر فلسفية، فليكن على الأقل من منظور تجريبي. بالنسبة للمتدينين، فإن منح الشرعية لدين آخر – دين "الآخر" –قد يكون مهمة صعبة من الناحيتين العاطفية والفكرية. وبالنسبة لغير المؤمنين، و

أولئك الذين لا يمثل الدين بالنسبة إليهم جزءا مهما من تكوينهم النفسي أو العاطفي، فإن الإعتراف بواقع وأهمية المعتقد الديني قد ينطوي حتى على قدر أكبر من التحدي. وهذه تذكرة مهمة للمخططين ومصممي العمليات العسكرية: حتى لو أنك لا تقبل تعاليم دين أو اتجاه ديني معين، فإنها حقيقية بالنسبة للمؤمنين بها. معنى هذا، أن دينا أو اتجاها دينيا معينا هو أمر واقع، حتى ولو لم يكن دينك أو اتجاهك الديني.

– الإعتراف بأن الدين يتعامل مع المطلق: هذه هي خاصته المستعصية. فحقيقة، أن الكثير من الأديان تجزم بمعرفتها بالحقيقة المطلقة، تجعلها مستعصية أكثر على التفاعلات التي تتطلب الإعتدال والوسطية خارج منظومة معتقداتها: فالدبلوماسية تتطلب أن يلتقي أولئك الذين يتمسكون بمواقف متضاربة في مكان ما بالوسط، وهذا يتطلب مرونة ورغبة في التوافق، ومع ذلك، فإن الكثير من الشخصيات الدينية تحظى بالتبجيل بسبب آرائها الدينية المتعصبة والمتصلبة. والواقع، فإن الكثيرين الذين يعتبرهم أتباعهم صفوة المتدينين ينظر إليهم خصومهم على أنهم متعصبون. بالتالي بات بالنسبة لصناع السلوك العسكري الجزائري من الضروري إدراك إلى أي مدى قد يكون المشاركون في تفاعل ما راغبين في التوافق، وإلا فإن الكثير من الوقت والجهد يمكن أن يتبدد في مسعى عقيم لتحقيق هدف لا تقبل به الأطراف الضالعة الأخرى.

– فهم أن للدين جوانب شخصية واجتماعية في آن واحد: إن الدين مفهوم معقد، فهو ينطوي على جوانب شخصية واجتماعية معاً، وقد تكون الجوانب الشخصية مهمة عندما تشكل أفكار وأعمال اللاعبين الرئيسيين على ساحة سياسية أو ثقافية. وقد يمارس أولئك الأفراد قدراً كبيراً من النفوذ على أتباعهم، بل إن الجوانب الإجتماعية أكثر أهمية لأنها قد تكون مؤثرة في التحريض على أعمال جماعية. وفي كثير من الأماكن والأحوال، كثيراً ما تكون الهوية الدينية أهم مصدر للهوية الجماعية.

– فهم أن الدين يتألف من معتقدات دينية وأعراف ثقافية: إن كلمة دين تشمل طائفة واسعة من المعاني وتشير إلى ما هو أكثر من المفاهيم الدينية. كما توفر قواعد للسلوك الفردي

والجماعي – في منظومة للقيم "الأخلاقية" الظاهرية – وتنطوي الكثير من الأديان على مبادئ تملي طبيعة السلوك، والملبس، والمأكل، وما شابه. ومثل هذه المبادئ، يمكن أن تحمل قوة القانون الأخلاقي في مجتمع أصولي يقوم على حكم الدين. وتطبق بعض التفسيرات الدينية نفس وسائل التنفيذ الصارمة التي تطبق بها هذه المبادئ على التعاليم الدينية، وقد تعترف تفسيرات أخرى في نطاق المنظومة الدينية ذاتها بنفس الجوانب الجمالية، مثل: الموروثات الثقافية التي لا تحمل نفس قوة المعتقدات الدينية.

وبالنظر إلى أن معظم الناس لا يدققون كثيرا في تأمل تفاعلاتهم اليومية واستخدامهم للغة، فإنهم دائما لا يميزون بدرجة كافية بين المزيج المعقد من التقاليد الدينية الثقافية، والخصوبة والغموض الكامنين في اللغة، مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة. فعندما تمتزج المبادئ المستوحاة دينيا بالمواقف أو العادات الثقافية، قد توصف النتيجة بأنها تركيبة ثقافية دينية معقدة.

- التنبه إلى أن الدين يوجد في السياق مع أيديولوجيات أخرى: جاء على الغرب وقت كانت فيه السياسة والدين شيئا واحدا. وفي كثير من عالم اليوم، لا يزال هذا التعريف مهما، حتى في الغرب، فإن الدين لا يتواجد عادة في عزلة عن الوسائط الفكرية الأخرى، سياسية كانت أو دينية. وعادة ما يتواجد الدين في سياق كثيراً ما يشكل ويؤثر على اهتمامات التقاليد الدينية. وحين تكون ديانة ما، أو مذهب في ديانة ما – ضمن الأقلية – فإن الأمر قد يتطلب موقفا دفاعيا وأحيانا متشددا تجاه ديانة الأغلبية. وعلى العكس من ذلك، فإن أعضاء دين الأغلبية قد يقررون التنكيل بكل المعارضة واضطهاد ديانات الأقليات الأخرى، ويحدث تنكيل الأغلبية هذا أيضا في سياق مصادمات بين وسائط الفكر الغربي، مثل تلك النابعة عن تقاليد دينية، ووثنية أنغلو سكسونية، ومثالية ديمقراطية، وإنسانية علمانية، وبين أشكال الإستبداد السياسي (مثل الماركسية).

- إستخدام الدين كأداة: وكما يصح الأمر بالنسبة لجميع التركيبات الثقافية، فإن الدين قد يخدم أغراضا أخرى غير وظيفته الروحية المعلنة، لذلك، فإنه قد يتقلد أدواراً سياسية،

وثقافية، واجتماعية، وغيرها. ويعترف بالقدرة من كافة المشارب بقوة الدين ويوظفونه لأغراضهم الخاصة.

– البعد الأخلاقي: إن كل من استخدام الدين كسلاح – والدفاع ضد استخدام الدين كسلاح –، تداعيات أخلاقية عويصة. فمثلما يعد استخدام المعرفة الطبية أو النفسية لتحقيق ميزة شخصية أو جماعية محفوفاً بمخاطر أخلاقية، فكذلك استخدام الدين. وكمثال على ذلك، هل يستطيع قائد ما أن يستخدم رجل الدين التابع له في محاولة التأثير على كبار رجال الدين المحليين على أساس مكانته الدينية؟. مثال آخر قد ننظر من خلاله، ماهي بعض المزايا أو المساوئ المحتملة لاستخدام التعاليم الدينية كأساس لعمل مدني أو عسكري محتمل؟. ليس لهذه الأسئلة وغيرها إجابات قاطعة، فهي قابلة لتفسير المعنوي والأخلاقي. وفي سياق أوسع، فإن هذه الأسئلة تتعلق بالمعضلة الأخلاقية المزمنة، وهي إن كانت الغاية تبرر الوسيلة – وإن صح ذلك – تحت أي ظروف؟.

– التفاعل الإنساني الجماعي: وباختصار، فإن الدين كان ولا يزال عاملا مهما في التفاعل الإنساني الفردي والجماعي. ورغم المحاولات الغربية "لفصل الرب عن قيصر"، فإن الدين يرفض أن يهبط إلى درجة عزله عن الشؤون العالمية. ويرقى الفشل في التعامل مع وجوده، ونفوذه وآثاره إلى حد نكران الواقع. ومن المفارقات، أن المعتقدات الدينية – التي تمثل أكثر التركيبات المبهمة والتجاوزية للعقل البشري – تنطوي على عواقب عملية وأحياناً فتاكة بالنسبة للأفراد والمجتمعات. وبالنسبة لصانع السياسة، والضابط العسكري، وممارس التصميم التكتيكي الحربي، فإن تجاهل الدين وكافة آثاره المعقدة ليس خياراً موفقاً بكل بساطة.

سادساً : مركز التوجيه العسكري الجزائري ومكافحة الإرهاب:

إن التطورات والأزمات التي مرت بها الكينونة الأمنية الجزائرية في العقد الأخير من القرن العشرين قد أظهرت بشكل جلي التحديات الأمنية الخطيرة التي مر بها النظام الأمني الجزائري على غرار بقية الأنظمة الأمنية لدول العالم الثالث خلال فترة التحول من الحرب الباردة إلى ما بعد هذه الحرب، وذلك من حيث بنائها وطرق التقرب منها. إن النقطة القابلة للمناقشة والجدل هي أن التحدي الوحيد الذي يواجهه النظام الأمني الجزائري على غرار النظام العالمي هو التهديدات التي يثيرها الإرهاب الحديث.

سوف لن نتفحص بدقة مدى تأثير قدرات القوة البرية والإستعلاماتية على مدى فعالية قواعد التحكم ومركز التوجيه العسكري الجزائري وإستراتيجيته. إن هذا لن يعكس أي حكم على صلب هذه النقطة ومفهومها المركزي الواقعي والذي لا نستطيع إنكاره. وعلى العكس من ذلك، فإن مناقشة هذه النقطة ستكون غير مجدية في حالة رغبتنا الوصول إلى المبادئ الأساسية لمفهوم هذه القواعد المركزية للتوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب.

إن مفهوم "مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب"، أو "العمليات المرتكزة على فهم عملياتي للتهديدات المطلقة (من مدخلي القيم والدين)" هي مقاربة إجرائية للحصول على نتائج إستراتيجية أو أثر عملياتي على التنظيمات الإرهابية (المتموضعة حدودياً على وجه التخصيص)، وذلك من خلال تطبيق تعاون مضاعف دؤوب متعدد الجوانب على أوسع مدى للقدرات العسكرية وغير العسكرية(٢٤). وهذه المقاربة تعتبر مقاربة تكيفية تتخذ شكلا متداخلاً لتمتد وتشمل الأبعاد الميدانية والعملياتية والإستراتيجية لأي اشتباك(٢٥). إن هذا الأساس المتين لهذه العمليات يتضمن خلق بعض الأحداث وحسن الإستفادة منها، مستخدمين قدرات تشوه سلوك الجماعات الإرهابية وعمق تفكيرها بشكل يكون قريباً ما أمكن لما تقرر إبان التصميم العملياتي(٢٦).

إن إجراءات التخطيط لهذه المقاربة تكون عادة على مستوى العمليات(٢٧). وتتضمن هذه الإجراءات المسح الميداني في وقت مبكر لعقد الإرتباط للأعمال الممكن السيطرة عليها وكذلك علاقتها بالنتائج المحتملة والأهداف الموصوفة مسبقا والتي تقود لهذا الإجراء. ورغم أنه من المفضل أن يتخذ هذا الإجراء قبل شن أية عملية إذ أنه أساسي ومنظور ومستديم ويتضمن تخطيطا مشتركا متعدد الجوانب، ويجب أن يتسم تنسيقه على مختلف المستويات القيادية(٢٨). وهذه نتيجة حتمية للآثار التي تتآلى في المرتبة الثانية والثالثة وكذلك الآثار السياسية الأكبر والتي تنتج عن الحدث الأصلي كالفقاعات في بركة من الماء على أمل أن تحقق الأثر المطلوب(٢٩). ورغم أن هذا ينطبق على كل أنواع القتال ولكن الديناميكية والحساسية الإستثنائية للعمليات في هذه الفاعلية المستمرة هي أكبر قوة وأوسع مدى.

وإذا كانت النتيجة الحاصلة هي المرجوة، وتحقق هذه النتيجة الهدف الأساسي المعتمد فإن ذلك لا يمكن الحكم عليه إلا في وقت متأخر من الزمان. وهذا يكون من وجهة نظر استراتيجية وليست ميدانية أو تعبوية. وبما أن الهدف الأساسي لمركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب هو على المستوى الإستراتيجي أو السياسي فإن هذا يؤدي إلى مفهوم عمق الإستراتيجية وبأن الحرب نفسها هي ببساطة امتداد للسياسة بوسائل أخرى(٣٠).

وهذا يتطلب الحاجة إلى توجيه سياسي حول إطار إستراتيجي بحيث يجري التخطيط للعمليات المجدية. وهذه النتيجة تجعلنا نصل إلى مفهوم "العمليات المجدية" في مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب والتي يمكن تعريفها بالتطبيق المتماسك والمترابط لكافة الموارد القومية وعلى مختلف الأصعدة الوطنية توجهها الأهداف والغايات عوضا عن الطرق والوسائل وذلك بغاية تحقيق الأهداف الإستراتيجية(٣١). وإن جدوى هذا المفهوم لمركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب في المجال الإستراتيجي بأنها تعطي للقادة ذوي الفكر الواسع القدرة على تحديد هدف التنظيمات الإرهابية بطريقة

تسهل تحقيق الهدف كاملا للإستراتيجية الحاذقة وهو "استسلام الجماعات الإرهابية دون قتال – ما يعرف بالشلل الإستراتيجي للخصوم –.

لقد أظهرت التطبيقات العملية لمركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب بالمقارنة مع الحرب التقليدية الحديثة من خلال انتصار وحدات القوات المسلحة الجزائرية خلال المرحلة الثانية من العشرية الدموية (١٩٩٥ – ١٩٩٩)(٣٢). وقد وصفت الحرب نفسها بأنها من "الصواب الإستراتيجي" من قبل عساكر الجيش الوطني الشعبي الجزائري وذلك باستخدام قيادة الأركان والعمليات العسكرية الجدية لمصطلح "الإختراق والحرب في العمق". وقد جسدت الحرب الجزائرية على الإرهاب أعمق محاولة ومبادرة قومية جرت في زمن النكاية والتوحش(٣٣)، لاستخدام النزاع المسلح بغاية تحقيق نتيجة إستراتيجية من خلال القوة العسكرية(٣٤).

إن التاريخ هو الضامن الوحيد ليوضح لنا بأن تلك العمليات كانت محاولة ناجحة. بينما كان النصر العسكري مثارا لجدل لا بد منه فإنه من الصعوبة التنبؤ بالنتيجة الإستراتيجية المرغوبة للوصول إلى حالة من الأمن المطلق والاستقرار المستتب. فالأمر يتعلق بالحرب ذاتها كرد عسكري لتهديدات الإرهاب(٣٥).

من حيث المبدأ يبدو أن هناك عدم الرغبة أو عدم القدرة لأن نتفهم الحرب بأنها شيء أبعد من كونها مجرد تدمير مادي أو تدريب بين قوتين حسب المفهوم السائد حتى الن حول طبيعة الحرب. إن القدرة على إخراج التنظيمات الإرهابية خارج ساحة المناورة والمعركة وتطبيق نسبة استثنائية في إنهاك الجماعات المسلحة المتطرفة، إن هذا كله لا فائدة منه ولا علاقة له بالموضوع عند مجابهة شبكات عقائدية إرهابية عالمية كالقاعدة وداعش. وفي كافة الأحوال فإن مفهوم مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب في هذا المجال لا يعتمد على الوسائل المادية الضيقة المحدودة(٣٦). إن "مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب" في مفهومه الأساسي هو تفهم حقيقة أبعاد وواقع عقل الإرهابي ومعرفته، مبتعدين عن تصور التفوق المادي والعسكري لهذا الإرهابي أو ضعفه

في أي من هذين المجالين[٣٧]. وهذا يؤكد بأننا إذا حكمنا على القوات المسلحة الجزائرية في حربها ضد الإرهاب بأنها قد خلقت صدعا بتركيزها على دحر الجماعات الإسلامية المسلحة في ساحة معركة فائضة عن الحاجة، فهذا يجعلنا نتناسى الثورة العميقة في التفكير العسكري الإستراتيجي والذي بدأ يأخذ طريقه حديثا معتمدا بشكل واضح على فلسفة النتائج الإيجابية[٣٨].

لا شك أن سلسلة التهديدات الإرهابية لها عمقها ومداها في أي بلد وشعب تقليدي، وهذا موضوع مثير للجدل. ولكن هذا التهديد يوجد فعلاً في شق وحيد من هذا السيناريو: وهو تأمين ملاذ آمن للشبكة الإرهابية. هذا السيناريو في الحقيقة لا يحتاج إلى أي جهد لتفسيره لأنه كان واضحاً وسهل الفهم في الجزائر. فإن حرمان الجماعات الإرهابية ملاذا آمناً للإنطلاق من حيث تستطيع شن هجماتها يعتبر مطلباً أساسياً لإحباط عملياتها الإرهابية وكذلك شل قدرتها على شن هذه الهجمات.

لقد أظهرت حرب القوات المسلحة الجزائرية على الإرهاب التحول الواضح من نظم الحرب القديمة إلى النظم الجديدة، أي من طريقة شل الأهداف الإرهابية وإنهاكها إلى القدرة على تغيير بناءات نظم الرعب الجغرافي وتدمير شبكاته الإرهابية والسيطرة الإقليمية، مستخدمين نسبة أقل من قوات نخبة الأمن القومي الجزائري. وقد مكنت مقاربة "مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب" القوات المسلحة الجزائرية من الوصول إلى مراكز الثقل في فضاءات تلك الجماعات الإرهابية ألا وهو التموضع في فضاء التهديد ومساحات الرعب واختراقه. وقد أثبت القادة الميدانيين للقوات المسلحة الجزائرية قدرتهم على استخدام قدراتهم العسكرية غير المتناسقة بطريقة محددة ومدروسة بما يتناسب والموقف.

يجب أن نتذكر بشكل واقعي وخال من النرجسية بأن سلسلة الهجمات التي استهدفت دول الجوار الجغرافي بعد حرب القوات المسلحة الجزائرية على الإرهاب تتطلب منا أن نتفهم بأن التركيز على الحرب ضد الجماعات الإرهابية يجب أن يكون ضد شبكاتها الخلفية. ومن

منظور مقاربة مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب فإن التحديات الكبيرة التي تواجه دول الجوار الجغرافي هي الهجوم على شبكات إرهابية دولية متناثرة وليس على تنظيم إرهابي معين، لا سيما وأن هذه الشبكات تأتمر بالدين والقيم[٣٩].

في الحقيقة والواقع أضحى تنظيم "داعش" الإستخباراتي والإرهابي بعد "القاعدة" يمثل الجيل القادم من نظم الرعب الجغرافي في المنطقة الذي يعتمد "شبكة الإدارة اللامركزية المتعددة للعمليات الإرهابية" مستفيدا إلى الحد الأقصى من قواه المتناثرة ومستخدماً ما استطاع قواعده ذات الفعالية الجدية[٤٠]. "داعش".. تهديد إرهابي يختبئ تحت ظلال سياسات واستراتيجيات إستخباراتية صهيوأمريكية، ويوجه ضرباته المفاجئة إلى المحاور الجغرافية الحيوية والهامة بالنسبة للأمن القومي العربي قبل أن يتلاشى في الظلال والعتمة، ليتسنى له خلال هذا الإنزواء تقييم النتائج التي حصل عليها طبقا لاستراتيجيته الرئيسية[٤١]. وبالتالي فإن استهداف هذا النوع من التهديدات الإرهابية يتضمن الكثير من الصعوبات.

ومن وجهة نظر دفاعية، فإن العمليات الإستخباراتية هي أمضى سلاح متوفر لدى الجيش الوطني الشعبي الجزائري، إذ من خلالها تمكنت القوات المسلحة الجزائرية أن تمنع العديد من الهجمات الإرهابية مع تفكيك وتعطيل شبكاتها[٤٢]. ولكن نجاح هذا المجهود سيبقى مقتصراً على المستوى الميداني والتعبوي. فالقدرة على تنفيذ ذلك على المستوى الإستراتيجي كان متوقفا ولحد ما على قدرة القوات المسلحة الجزائرية على استهداف القيادة الإستراتيجية للتنظيمات والجماعات الإرهابية وإيقاع الفوضى في صفوفها حتى لا تستطيع إيصال تعليماتها إلى خلاياها وكتائبها المتناثرة والتي تعمل بشكل مستقل.

إن مقدرة "داعش" على نقل نواياها إلى مستوى قادة العمليات في شبكة من شبكاتها يتطلب جهود المخابرات لدى الجيش الوطني الشعبي الجزائري لجمع هذه المعلومات. ويتم ذلك سواء بمراقبة وسائط الإتصال أو شرائط التسجيل السمعية والبصرية، ولابد من استخدام وسائط جديدة وخلاقة للمراقبة. وعلى كل، فإنه لا يمكن لأية معلومات استخباراتية أو احتياطات أمنية أن تؤمن حماية كاملة ضد الهجمات الإرهابية. والمهم في الأمر، والذي يعتبر

دليلاً للنجاح هو القدرة على الإقلال من حجم الأثر الإستراتيجي لأية جماعة أو عملية إرهابية لم تستطع القوات العسكرية السيادية تداركها والتي كان من المحتمل أن يتم تنفيذها بنجاح.

إن اللا جدوى من محاربة الإرهاب على المستوى التكتيكي والعملياتي في وقت ما (١٩٩١ – ١٩٩٤) قادت قيادة أركان القوات المسلحة الجزائرية للبحث عن حلول على المستوى الإستراتيجي والسياسي، وهذا في الحقيقة نتيجة لمفهوم "مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب". بالإضافة إلى ذلك، فإن حاجة قيادة الأركان آنذاك لاستهداف جماعة العقول لمجتمع واسع عوضاً عن مجموعة عقول محددة أو عقل قائد معين بمفرده، كل ذلك كان يتطلب حملة من "مركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب" وأن تكون تلك الحملة واسعة المدى وذات تأثير مجد ومفيد. والحقيقة البديهية السائدة والتي لا غبار عليها هي أن يتعمق الإنسان في معرفة نفسه ومعرفة خصمه وهذا أهم من أي شكل من أشكال الإشتباك مع الخصم، وهو ما يدخل في صميم ما يعرف بـــ "إستراتيجية العمليات الفعالة".

إن هذا المفهوم يقع في صلب المرجعية التي يتقدم بها الكثيرون – من القوات المسلحة التابعة لأنظمة سيادية هشة – لحاجتهم إلى استراتيجية مناهضة "لتجفيف هذا المستنقع" في عوالم التهديد الرمادية و"كسب عقول وأفكار" البيئات الخلفية المساندة للجماعات الإرهابية. هذا عن طريق حملات إعلامية واسعة في العلاقات العامة تسمح بمحاولة إضعاف الثقة بالأعمال الإرهابية وإظهار فضائل مكافحة الإرهاب بأفضل القرائن الممكنة والمتوفرة لديهم.

وبصورة عامة، فالشيء الأساسي في النجاح هو أن تكون كافة هذه العمليات من حيث تخطيطها وتنفيذها وإدارتها كجزء من حملة مسيطرة متناسقة طبقا "لاستراتيجية قواعد العمليات الفعالة".

الخاتمـــــــة

إن فهم المذهب العسكري الجزائري لثنائية الضبط العملياتي والدين في عمليات مكافحة الإرهاب من مدخلي كسب معركة الأفكار والعقول ومركز التوجيه العسكري الجزائري في عمليات مكافحة الإرهاب تعكس في الحقيقة صدى طبيعة الحرب المنتهجة واستراتيجية القوات المسلحة الجزائرية لاحتواء التهديدات الإرهابية. آخذة في عين الإعتبار أنه لن يتسنى لها الفتح الإستراتيجي في حربها ضد الإرهاب، إلا بالإعتراف بأبعاد الصراع الأيديولوجي والجغرافي والسياسي التي تأخذها في بيئة إقليمية ودولية منهكة. إن هذا الصراع يجب أن يكون صراع الأفكار وأن يكون على كافة المستويات. ولا نقصد بذلك القيادة السياسية والعسكرية فقط وإنما كل المستويات الحكومية والدبلوماسية والإعلامية والإقتصادية والإجتماعية والوسائل الثقافية أيضاً.

إن الرد الأول لأي هجوم إرهابي يجب أن يضع أمامنا السؤال التالي: "ما هي غاية هذا الهجوم وما هي ردة الفعل التي سيثيرها هذا العمل الإرهابي؟"، وإن أية استجابة تلي ذلك يجب أن تتعامل معها القوات المسلحة السيادية على أساس أنها حملة ضمن استراتيجية مركزية فعالة هدفها ليس فقط أن تربح الحرب ضد الإرهاب ولكن أن تربح السلم والإستقرار معاً في النهاية.

الهـــوامـــش و المصـــــــادر

١- يمكن التصميم القادة من تصور البيئة العملياتية. ويمكنهم تصور البيئة ليس في نطاق وجود أنظمة محايدة للعدو، أو الخصم أو الأصدقاء طوال كافة أشكال التراع وحسب، وإنما في سياق البيئة السياسية، والعسكرية، والإقتصادية، والإجتماعية، والمعلوماتية، والبنية التحتية، والوقت (الدليل العملياتي الجزائري: ١٥- م. ف ٠٣).

٢- "شعر اليهود في المنفى بقسوة العالم من حولهم، وساعدهم هذا الإحساس بالوجود في الشعور بأن ربا خيرا يحتويهم". كارين أرمسترونغ، تاريخ الرب: سعي اليهودية، والمسيحية والإسلام على مدى ٤٠٠٠ عام (نيويورك: بالانتاين، ١٩٩٣م)، ص.، ٧٦

٣- "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الرب والإبن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"، إنجيل متى: ٢٨: ١٩ – ٢٠.

٤- "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم..."، القرآن الكريم – سورة الشورى، الآية:١٥.

٥- عرف رودولف أوتو القدرة الإنسانية على الخشية من الكائنات فوق العقلانية بأنه شعور "خشوعي". وكائن هذه الخشية بأنه الغموض المهيب، الذي يؤدي إلى فكرة أن الإله هو "الآخر الكلي". رودولف أوتو، فكرة المقدس، مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٢٣ م، ص، ص.، ٢٥ – ٣٠

٦- "حقيقة، هناك محل للجدل بأن الإنسان العاقل هو أيضا الإنسان المتدين. بدأ الرجال والنساء يعبدون آلهة حالما أدركوا بشريتهم، وابتكروا ديانات في نفس الوقت الذي أبدعوا فيه أعمالا فنية". أرمسترونغ التاسع عشر.

٧- سان أوغستين من هيبو، الإعترافات، ترجمة : هنري تشاوديك، أوكسفورد : مطبعة جامعة أوكسفورد، ٢٠٠٦ م، ص ٣.

٨- دشنت حكومة الثورة الفرنسية حكم "العقل" ونهاية المسيحية الرسمية في الجمهورية الجديدة. وفيما بعد أعلن نيتشه موت الإله وبزوغ فجر عصر السوبرمان. ووصف ماركس الدين بأنه "أفيون

الشعوب". وفي القرن العشرين، عارضت الفلسفة العلمية الوضعية والشيوعية الدين، وتجاهلت الرأسمالية أو تغاضت عن الشواغل الدينية. وحاول فلاسفة مثل سارتر بناء مبادئ أخلاقية لا تعتمد على الله. ورغم كل هذه الإتجاهات، ظل الدين على قيد الحياة ويبشر بأنه سيكون قوة دافعة في القرن الحادي والعشرين، لمعالجة مختصرة للمواجهة بين الدين والحداثة، أنظر أرمسترونغ، ص، ص.، ٣٦٥ – ٣٧١

٩- "أصبح اسم داروين كلمة مرادفة للإلحاد في الدوائر الأصولية، ومع ذلك فإن أصل الأنواع لم يكن الغرض منه أن يكون هجوما على الدين، وإنما توضيحا رصينا لنظرية علمية"، أنظر: أرمسترونغ، ص.، ٩٤

١٠-"قبل أن يسموا أنفسهم ليونيز، أو قشتاليين، أو أراغونيين، سمى أولئك الذين حاربوا البربر وعاشوا واختلطوا مع اليهود أنفسهم مسيحيين". أميريكو كاسترو، الواقع التاريخي لإسبانيا، مكسيكو سيتي، المكسيك: إفتتاحية بوريا، ١٩٨٢م، ص.، ٢٥

١١-"نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (٣) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان". القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآيتان: ٣ و٤. "إن الدين عند الله الإسلام". القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية: ١٩.

١٢-"حول الأصوليون اليهود والمسلمون القوافي والأمثال والأناشيد إلى شعارات عملية تستهدف تحقيق نتيجة عملية. وحرف الأصوليون البروتستنت الأسطورة بطريقة مختلفة. فقد حولوا الأساطير المسيحية إلى حقائق علمية، وخلقوا هجينا لم يكن علما جيدا أو دينا حسنا، وتصادم ذلك مع التقاليد الروحانية برمتها وانطوى على ضغط كبير، بالنظر إلى أن الحقيقة الدينية ليست عقلانية بطبيعتها ولا يمكن إثباتها علميا". أنظر: أرمسترونغ، ص.، ٣٥٥

١٣-في القرآن الكريم، يقول الله تبارك وتعالى: "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم"، سورة البقرة، الآيتان: ٣ و٤.

١٤-"منذ أواخر القرن الثامن عشر، طبق العلماء الألمان التقنيات الجديدة للتحليل الأدبي، وعلم الآثار، واللغويات المقارنة على الإنجيل، وأخضعوها لمنهجية تجريبية علمية". أنظر: أرمسترونغ، ص.، ٩١

١٥-"لأنه ليس في أفواههم صدق. جوفهم هوة. حلقهم قبر مفتوح. ألسنتهم صقلوها. دنهم يا الله ليسقطوا من مؤامراتهم. بكثرة ذنوبهم طوح بهم. لأنهم تمردوا عليك". المزمور ٥: ٩ – ١٠.

١٦-"أرعد الرب من السماوات. والعلي أعطى صوته. بردا وجمر نار. أرسل سهامه فشتتهم. وبروقا كثيرة فأزعجهم". المزمور ١٨: ١٣ – ١٤.

١٧-"سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم. باركوا لأعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات". إنجيل متى ٥: ٤٣ – ٤٥.

١٨-هذا صحيح حتى يومنا هذا، كما بين بريستون جونس وكودي بيكمان في كتابهما، إختفاء الرب في المعركة: نحو انعكاس المسيحية على المعركة، لاهام، ميريلاند: مطبعة الجامعة الأمريكية، ٢٠٠٩.

١٩-حتى مع تسليمه بالضرورة الإجتماعية "للحرب العادلة"، فإن أوغستين يرثي ما تنطوي عليه من عنف، "لأن المخالفات التي يرتكبها الطرف المعارض هي التي تدفع الحكماء من الرجال إلى شن حروب عادلة: وحتى وإن لم تدفع هذه المخالفات إلى الحرب، فإنها تظل مسألة محزنة للإنسان، لأنها مخالفات من صنع الإنسان. فليعترف إذن كل إنسان يفكر بألم في هذه الشرور الكبرى، البالغة الفظاعة، والبالغة الشراسة بأن هذه تعاسة". أوغستين من هيبو، مدينة الله ضد الوثنيين، ص ١٨.

٢٠-"باستطاعة المسيحيين أن يستخدموا العنف عندما يكون من واجبهم أن يفعلوا ذلك، بمعنى آخر، عندما يكونون من الجنود (أو رجال الشرطة). ويستجيب مثل هؤلاء المسيحيين لعنف الأعداء الذين يهددون السلام والنظام – ليس على نحو سلبي، ولكن بالقوة –... ألكسندر. إف. سي. ويبستر وداريل كول، فضيلة الحرب: إصلاح التقاليد المسيحية الكلاسيكية شرقا وغربا، سالزيوري. إم إس: مطبعة ريجينا أورثودكس، ٢٠٠٤م، ص١٥٠.

٢١-قمت بتبسيط مفاهيم "معقدة" ومجموعة من مثل هذه التعقيدات المستخدمة في النفسية التحليلية ليونغ وطبقتها في سياق اجتماعي أكبر. "إن بعض التعقيدات الجماعية، التي تدور حول قضايا الجنس، أو الدين، أو المال، أو السلطة تؤثر على كل شخص تقريبا بدرجة ما، ويمكن أن تؤدي إلى تصريف

شرس للطاقة، بل إلى الحرب، إذا ما استثيرت بقوة كافية". موراي شتاين، خريطة يونغ للروح: مقدمة، شيكاغو: أوبن كورت، ١٩٩٨م، ص ٧٦.

٢٢- "حتى ثمانينات القرن السادس عشر، لم يتمتع قسم كبير من أوروبا، وإن كان قد تميز بالتنوع الديني، بحرية دينية حقيقية. مع ذلك، على النحو الذي نفهمه اليوم، فانتماء المسيحي إلى الطائفة الخطأ يمكن أن يفضي به إلى الموت. وأحيانا إلى موت فظيع – فقد تم إحراق آلاف مؤلفة من الأحياء على الأوتاد –". كريستوفر كاثروود، شن الحرب باسم الله، نيويورك: مطبعة سيتادل، ٢٠٠٧م، ص ١١٩.

٢٣- كاثروود، ص ١٢٧.

٢٤- المصطلحات العسكرية للقوات المسلحة الجزائرية، مركز الإيصال والإعلام والتوجيه، وزارة الدفاع الوطني، ٢٠١٤م.

٢٥- "موجز عن العمليات العسكرية في الصحراء الجزائرية"، مديرية الدراسات والتعليم، المدرسة التطبيقية للقوات الخاصة، الناحية العسكرية الرابعة، ٢٠١٤م.

26- *Brig Gen David A. Deptula, Firing for Effects, Air Force Magazine 84, no. 4, April 2001, p.p., 46 – 53.*

27- *Chairman, Joints Chiefs of Staff, Joint Vision 2020, Washington, DC: GPO, June 2000, p. 23.*

28- *Paddy Turner, Mark Round, and Andrew Preece, Effects – Based Planning, paper presented at 2004 Command and Control Research and Technology Symposium, San Diego, CA, 15 – 17, June 2004.*

29- *Nick Cook, Effects – Based Operations: Cause and Effect, Jane Defense Weekly 39, no. 24, 18 June 2003, p. 59.*

30- *Carl von Clausewitz, On War, bk. 1, On the Nature of War, ed. and trans. Michael Howard and Peter Paret, Princeton University Press, 1976, p. 87.*

31- *Alan Stephens, lecture, Graduate Studies in Strategy and Defence, Australian National University, Canberra, 4 May 2004, p. 17.*

32- *Anthony H. Cordesman, The Irregular War: Strategy, Tactics, and Military Lessons, Significant Issues Series 25, no. 5, Washington, DC: CSIS Press, September 2003, p,p. 149 – 65.*

33- *Paul Adams, Shock and Awe – An Inevitable Victory, Sara Beck and Malcolm Dowing, eds. London: 12 June 2014, p. 105.*

34- *S. M. Rahman, Algeria War: Triumph or Tragedy?, Defence Journal 7, no. 1, August 2012, p. 13.*

35- *Alan Levine, Knowing Your Enemy, The World And I 19, no. 4, April 2012, p. 214.*

36- *Boaz Ganor, Terror as a Strategy of Psychological Warfare, International Policy Institute for Counter – Terrorism, 15 July 2002, p. 443.*

37- *Colin Gray, Thinking Asymmetrically in Times of Terror, Parameters, Spring 2013, p. 14.*

38- *Maj. Gen Yeshwant Deva, Psychological Aspects of Combating Terrorism, Asian Journal on International Terrorism and Conflicts 7, no. 22, January 2004, p. 72.*

39- *Ivan Eland, Are We Fighting a Real War on Terror at All?, Independant Institute, 4 February 2012, p. 59.*

40- *Merrick E. Krause, Decision Dominance: Exploiting Transformational Asymmetries, Defence Horizons, no. 23, February 2014, p. 18.*

41- *Norman Friedman, Information Warfare Can Defeat Terrorists, United States Naval Institute Proceedings 129, no. 4, April 2014, p. 4.*

٤٢-راجع الكتابات الإستراتيجية والفلسفية لــ: "سون تزو"، فن الحرب، نيويورك، منشورات دوفر، ٢٠٠٢م.

Understanding of military doctrine Algerian bilateral: Setting the operational environment and religion in counter-terrorism operations

Assistant Professor Dr.. Belhoul Nacim
Department of Political Science - University Ali Lounici / Blida (Algeria)

Abstract

The developments and crises experienced by the Algerian security Being in the last decade of the twentieth century has shown clearly the serious security challenges experienced by the security system Algerian similar to the rest of the security systems of the Third World countries during the period of transition from the Cold War to the post-war, and so where construction and ways to draw closer ones. The midwife to discuss and debate the point is that the only challenge facing the Algerian security system along the lines of the global system is the threats posed by modern terrorism. Will not carefully examine the impact of the capacity of the ground force and Investigation on the effectiveness of the rules and control center of the Algerian military guidance and strategy. This will not reflect any judgment on this point and the core of the central concept of the real, which cannot be denied. On the contrary, the discussion of this point would be useless in the case of our desire for access to the basic principles of the concept of these rules to guide the central Algerian military in counter-terrorism operations.